مسألة

في تكفير الأشاعرة

كتبها

أبو عبد اللّه عادل آل حمدان

عفا الله عنه

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله الذي حبَّبَ إليَّ الإسلامَ والسُّنةَ والهُدى، وبغَّضَ إليَّ الضَّلالةَ والبدعَ والرَّدى، وكرَّهَ إليَّ الكُفرَ والفسوقَ والعصيانَ والهوى.

فسُبحان الذي خلقَ فسوَّى، وقدَّرَ فهدى، ورفَعَ السَّمواتِ العلى، وزيّنها بمصابيحِ الدُّجَى، وبَسَطَ الأَرَضين السُّفلى، ومهَّدها واسِعة القرى، ثم بذاتِهِ على العرشِ استوى.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله الذي تركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

وبعد، فقد فإني كنت قد كتبت حاشية في تحقيقي لكتاب «إثبات الحد لله تعالى» عن مسألة تكفير الأشاعرة، ومن قال بها من أهل السنة والعلم، وبيان أوجه تكفيرهم عند من كفرهم.

وقد طلب مني بعض الأخوة إن أفردها في صفحات طلبًا للفائدة، ولسهولة نشرها بين طلبة العلم. فأقول:

«تكفير الأشاعرة محلّ خلاف بين أهل السُّنة والأثر، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ١٥٠) وهو يتكلَّم عن الصفاتية الذين أقرُّوا ببعض الصفات وجحدوا بعضها، فقال: (هؤلاء يؤمنون ببعض أسماء الله تعالى، ويكفرون ببعض، ويؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، ولهذا تنازع الناس في إيمانهم وكفرهم). اهـ

ووجه من ذهب من أهل السُّنة إلى تكفيرهم: أنهم نظروا إلى حقيقة مذهب الأشاعرة وأصولهم التي بنوا عليها مذهبهم في الاعتقاد، فوجدوها مأخوذة من أصول الجهمية الذين أجمع السَّلف على تكفيرهم.

ومن تلك الأصول: نفي مُتقدمي الأشاعرة لأفعال الله تعالى الاختيارية.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السُّنة» (٢/ ٣٩٠): والأشعري تَبَعٌ في ذلك للجهمية والمعتزلة الذين نفوا قيام الفعل به تعالى؛ لكن أولئك ينفون الصفات أيضًا بخلاف الأشعرية). اهـ

فهذا بالنسبة لُمتقدِّمي الأشاعرة.

أما متأخروهم فقد والوا الجهمية والمعتزلة، فكان حقيقة باطنهم: باطن المعتزلة الجهمية المعطلة.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٥١): وأما المتأخِّرون فإنهم والوا المعتزلة، وقاربوهم أكثر، وقدموهم على أهل السُّنة والإثبات وخالفوا أوَّليهم. اهـ

فالأشاعرة في بداية أمرهم تلقوا عن الجهمية والمعتزلة بعض أصولهم في الصفات؛ فنفوا أفعال الله الاختيارية تبعًا لهم.

ثم بدأ التقارب بين مذهبهم وبين مذهب الجهمية والمعتزلة في أبواب الاعتقاد حتى قارب أن يكون مذهبًا واحدًا.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ٤٠١): فعلم أن هؤلاء [يعني: متأخري الأشاعرة] حقيقة باطنهم باطن المعتزلة الجهمية

المعطِّلة، وإن كان ظاهرهم ظاهر أهل الإثبات كما أن المعتزلة عند التحقيق حقيقة أمرهم أمر الملاحدة نُفاة الأسماء والصِّفات بالكُلية، وإن تظاهروا بالرد عليهم، والملاحدة حقيقة أمرهم حقيقة من يجحد الصَّانع بالكلية، **هذا لعمري عند التَّحقيق**. اهـ

– وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٣٢٤) في معرض ردِّه على متأخري الأشاعرة: فعامة ما ذمه السَّلف والأئمة وعابوه على المعتزلة من الكلام المخالف للكتاب والسُّنة والإجماع القديم لكم منه أوفر نصيب، بل تارة تكونون أشد مُخالفة لذلك من المعتزلة، وقد شاركتموهم في أصول ضلالهم التي فارقوا بها سلف الأمة وأئمتها، ونبذوا بها كتاب الله وراء ظهورهم .. إلى أن قال: **وأنتم شُركاؤهم في هذه الأصول كلها، ومنهم أخذتموها، وأنتم فروخهم فيها، كما يقال: (الأشعرية مخانيث المعتزلة)، والمعتزلة مخانيث الفلاسفة؛ لكن لما شاع بين الأمة فساد مذهب المعتزلة، ونفرت القلوب عنهم صرتم تُظهرون الرَّد عليهم في بعض المواضع، مع مقاربتكم أو موافقتكم لهم في الحقيقة. اهـ**

– وقال السِّجزي (٤٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «رسالته إلى أهل زبيد» وهي رسالة يرد فيها على الأشاعرة، ويُبيِّن فيها حقيقة مذهبهم، وموافقتهم للجهمية والمعتزلة.

قال (ص١٣٧): الفصل الخامس: (بيان موافقتهم للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول، وأنهم زائدون عليهم في القبح، وفساد القول في بعضها).

– وكذا الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٣١-١٤٤) فقد قال: (باب في ذكر كلام الأشعري)، ثم قارن بين مذهب الأشاعرة ومذهب الجهمية، وبين

ضلالهم وخداعهم وتمويههم على العامة، حتى سماهم إناث الجهمية، في كلام طويل له، ومنه قوله: فجاءت [يعني: الأشاعرة] بمخاريق تراءا للغبي بغير ما في الحشايا، بنظر الناظر الفهم في جذرها، فيرى مخ الفلسفة بكساء لحاء السُّنة، وعقد الجهمية بنحل ألقاب الحكمة. - ثم قارن بين المذهبين -، وقال: ولا يخفى على ذوي الألباب أن كلام أوليهم وكلام آخريهم كخيط السحارة، فاسمعوا الآن يا ذوي الألباب، وانظروا ما فضل هؤلاء على أولئك.. إلخ وسيأتي ما ذكره قريبًا.

- وقال ابن الحنبلي في «الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة» (٢/ ٤٥١): وظهرت المعتزلة في زمن المأمون، وجرى منهم ما جرى، فكان آخر البدع ظهورًا مذهب الأشعري، وتولى نصرته الظلمة وأرباب الدنيا، وأصحاب المظالم القائمين بما يخالف الشَّرع من النجامة، والفلسفة، والإدمان على المظالم والفسق، لتعلم أن هذه البدعة شرُّ البدع بظهورها آخر الزمان، وانتشارها في فاسد البلدان، وركوب دعاتها التمويه والمحال، والكلام المزخرف وفي باطنه الكفر والضلال، فزمان هذه البدعة أخبث الأزمنة، وأتباعها أخبث الأمة، ودعاتها أقل أديان هذه الملة. اهـ

وقال أبو سعد الزنجاني (٤٧١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمنظومته في السُّنة (ص١٠٨) بعد ذكره لمقتل الجهم بن صفون: وانقطع عن الأمة شرُّ مقالاته واندرست، ولم يبق أحدٌ يقولها إلَّا حيثُ لا يُفطَنُ له، إلى أن كان علي بن إسماعيل الأشعري، وفسد بينه وبين أبي علي الجُبَّائي، وأخرجه عن مجلسه ونفاه، فعدل إلى بعض أقواله، وصار ينصرُه ويناظر عليه المعتزلة، فعاد شرُّها إلى الأمة. اهـ

وقال أبو الحسن الكرجي الشافعي (٥٣٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ وله قصيد في السُّنة تُلقب بـ«عروس القصائد في شموس العقائد»، قال ابن السمعاني: رأيته بالكرخ، إمام، ورع، فقيه، مفت، خير، أطيب .. له قصيدة بائية في السُّنة شرح فيها اعتقاده، واعتقاد السلف، تزيد على مائتي بيت. اهـ

ومما قال فيها:

وخبث مقال الأشعري تخنث ... يُضاهي تلوِّيه تلوي الشغازب
يُزيِّن هـذا الأشعـريُّ مقـاله ... ويقشبه بالسُّمِ يا شـرَّ قاشبِ
فينفي تفاصيلًا ويثبت جُـملةً ... كناقضةٍ من بـعد شـدِّ الذوائب
ويجزم بالتأويلِ من سنن الهدى ... فجـرأته في الديـنِ جُرأةُ خارب
يؤول آيـات الصفـات بـرأيـه ... ويخلب أغمـارًا فأشئم بخالب

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٧١): والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية. اهـ

وقال في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٦٢١): إن أبا المعالي وأمثاله يضعون كتب الكلام الذي تلقوا أصوله عن المعتزلة والمتفلسفة .. والأصول التي يقررها هي أصول جهم بن صفوان في الصفات والقدر والإرجاء. اهـ

قلت: ومن كفَّر الأشاعرة من أهل السُّنة يعود تكفيره لهم لعدة مخالفات في أبواب السُّنة والاعتقاد كفَّرَ بها السلف وأئمة السُّنة كثيرًا من الفرق بواحدة منها، فكيف إذا اجتمعت تلك الضلالات في فرقةٍ من الفرق ؟

وسأذكر بعض اعتقاداتهم التي كانت سببًا في تـصريح بعـض أهـل العلم بكفرهم:

١- مخالفاتهم في توحيد الألوهية.

٢- اعتقادهم في الإيمان.

٣- نفيهم علو الله تعالى على خلقه.

٤- اعتقادهم في القرآن أنه عبارة عن كلام الله تعالى.

٥- نفيهم الحرف والصوت في كلام الله تعالى.

٦- تحريفهم لنصوص صفات الله تعالى.

٧- نفيهم لرؤية المؤمنين لربهم ﷻ.

وتفصيل ذلك:

١ـ توحيد الألوهية عند الأشاعرة.

ويتلخص مذهبهم في توحيد الألوهية فيما يلي:

أ- أنهم لـم يهتدوا أصلًا إلى معرفة توحيد الألوهيـة والعبـادة بمعنـاه الصحيح، بل ولا وجود لذكرِهِ عندهم في مُصنفاتِهم !!

ب- أن التوحيد عندهم هو الشهادة لله تعالى بالربوبية.

فهم يعتقدون: «أن الإله بمعنى الآله اسم فاعل، وأن الإلهيـة هـي: القدرة على الاختراع، كما يقوله الأشعري وغيره ممـن يجعلـون أخـصَّ وصف الإله القدرة على الاختراع». [«درء التعارض» (٩/ ٣٧٧)].

ج- أن الشرك عندهم هو شرك الربوبية.

د- أن صرفَ العبـادة كالـدعاء، والخـوف والرَّجـاء، والمحبـة، والعبادات العملية المتعلقة بالجوارح لا تكون شِركًا عندهم إذا لم يعتقد استقلالية المعبود بالربوبية.

هـ- أن الشرك في توحيد الأسماء والصِّفات عنـدهم هـو: إثبـات صـفات الله ﷻ، والتوحيـد عنـدهم هـو : إنكارهـا وتعطيلهـا باسـم التأويل الذي حقيقته تحريف.

ولهـذا تـرى الـرازي في «تـفـسيره» (٢٧/ ١٣٠) وهـو مـن كبـارِ الأشاعرة يسمي «كتاب التوحيد» الذي ألَّفه ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ في إثبات الصفات: بـ(كتاب الشِّرك) !!

وقال ابن فورك في «مشكل الحـديث» (ص٣٥٩): وعلـم أن أحـد أصولنا في هذا الباب أن كلما أطلـق عـلى الله ﷻ مـن هـذه الأوصـاف والأسماء التي قد تجري على الجوارح فينا، فإنما يجري ذلك في وصفه على طريق الصفة إذا لم يكن وجه آخر يحمل عليه ممـا يـسوغ فيـه التأويـل، وذلك لصحة قيام الصفة بذاته، فإن قيامها مما لا يقتضي انتقاض توحيده وخروجه عما يستحقه من القدم والإلاهية، فأما وصفه بذلك عـلى الحـد الذي يتوهمه المشبهة الممثلة لربها بـالخلق في إثبـات الجـوارح والآلات فخلاف الدين والتوحيد. اهـ

وقال البيهقي في «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشـاد» (ص ١٢٠) وهو يتكلم على صفة الاستواء: ومنهم من قبله وآمن بـه، وحملـه عـلى وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد. اهـ

قـال ابـن تيميـة رَحِمَهُ اللهُ في «بيـان تلبـيس الجهميـة» (١/ ٤٢٧): أن

تسميتك أصحابك أهل التوحيد والتنزيه، هو مما اتبعتم فيه المعتزلة نفاة الصفات، فإنهم فسروا التوحيد بتفسير لم يدل عليه الكتاب والسنة ولا قاله أحد من سلف الأمة وأئمتها .. وادعوا أن من أثبت الصفات لم يكن موحِّدًا، لأن الواحد عندهم – الذي لا يعقل فيه – ما تميز منه شيء عن شيء أصلًا، وثبوت الصفات يقتضي الكثرة، والذي جعلوه واحدًا لا ينطبق إلَّا على معدوم ممتنع .. وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفي الصفات، أو نفي علوه على العرش؛ بل بما يستلزم نفي ما هو أعم من ذلك، فهو شيء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام، وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات، هو أيضًا باطل .. إلخ

قلت: فإمرار الصفات عندهم على حقيقتها وظاهرها من نواقض التوحيد !

ثم هم يفسرون توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، ولا ذكر لتوحيد الألوهية الذي جاءت به الرسل من توحيد الله بالعبادة في كتبهم، فهذا البيهقي يقول في كتابه «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» (ص ٤٩): الله معناه من له الإلهية، وهي القدرة على اختراع الأعيان وهذه صفة يستحقها بذاته. اهـ

ثم إن موقفهم مِن كلمة التوحيد (لا إله إلَّا الله): أنها ليست بأول واجب على العباد، وإنما أول الواجبات هو إثبات وجود الله تعالى بالنظرِ والقصد إليه!! فخالفوا بذلك دَعوة الرسل جميعًا عليهم صلوات الله وسلامه !!

قال الباقلاني وهو مِن كبارِ أئمة الأشاعرة: (وأن يعلـمَ أن أول ما

فرَضَ الله علـى جميـعِ العبـادِ: النظـر في آياتـه، والاعتبـار بمقدوراتـه، والاستدلال عليه بآثارِ قدرته، وشواهد ربوبيتـه؛ لأن الله غـير معلـوم بالاضطرار). اهـ

وموقفهم من الإيمانِ الذي هو أحد مَراتـب الـدِّينِ كـما سـيأتي أنـه يَكفي فيه التصديق القلبي المجرد، ولو لم يـتكلم بكلمـة التوحيـدِ، ولم يعمل بجوارحِه قط.

فوافقوا الجهمية في تعريفِ الإيمانِ أنه: التصديق فقـط دون القـول والعمل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «درء التعـارض» (١/ ٢٢٤): فهـم يريـدون بلفظ (التوحيد، والواحد) في اصطلاحهم: ما لا صـفة لـه، ولا يُعلـم منه شيء دون شيء، ولا يـرى، والتوحيـد الـذي جـاء بـه الرسـول لم يتضمن شيئًا من هذا النفي، وإنما تضمن إثبات الإلهية لله وحده؛ بـأن يشهد أن لا إله إلَّا هو، ولا يعبد إلَّا إياه، ولا يتوكل إلَّا عليه، ولا يُوالي إلَّا له، ولا يُعادي إلَّا فيه، ولا يعمل إلّا لأجله، وذلك يتضمن إثبـات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات .. ولـيس المـراد بالتوحيـد مُجـرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلقَ العالم، كـما يظـن ذلـك مَن يظنه مِن أهلِ الكلامِ والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلـك بالدليلِ فقد أثبتوا غاية التوحيدِ، ويظن هـؤلاء أنهـم إذا شـهدوا هـذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد.

وكثير مِن أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاث معانٍ، وهو: واحـد في ذاته لا قسِيمَ له، أو لا جُزء له، وواحد في صِفاتِهِ لا شَبيه له، وواحد

في أفعالِهِ لا شريكَ له، وهذا المعنى الذي تتناوله هذه العِبارة فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يُخالف ما جاءَ به الرسول ﷺ، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول، بل التوحيد الذي أمرَ به أمرٌ يتضمن الحق الذي في هذا الكلام، وزيادة أُخرى، فهذا من الكلامِ الذي لُبِّس فيه الحق بالباطلِ، وكتَم الحقِّ.

وذلك أن الرجل لو أقرَّ بما يستحقه الرب تعالى مِن الصِّفات، ونزَّهه عن كلّ ما يُنزَّه عنه، وأقرّ بأنه وحدَه خالقُ كلِّ شيءٍ، لم يكن مُوحِّدًا، بل ولا مؤمنًا حتى يشهدَ أن لا إله إلَّا الله، فيقرّ بأن الله وحدَه هو الإله المستحق للعبادةِ، ويلتزم بعبادةِ الله وحده لا شريك له.

والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى: (القادر على الخلق)، فإذا فسَّرَ المفسِّر الإله بمعنى: القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخصّ وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من مُتكلّمة الصِّفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن [يعني: الأشعري] وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مُقرِّين بأن الله وحده خالق كل شيءٍ، وكانوا مع هذا مُشركين .. ولهذا كان من أتباع هؤلاءِ من يسجد للشمسِ والقمرِ والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرّب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشركٍ، وإنما الشِّرك إذا اعتقدت أنها هي المدبّرة لي، فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مُشركًا.

ومن المعلوم بالاضطرار مِن دينِ الإسلام أن هذا شِركٌ، فهذا ونحوه

من التوحيد الذي بعث الله به رسله، وهم لا يُدخِلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته. اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الدُّرر السَّنية» (١/ ١١٢) وهو يتكلم عن معنى المعبود عند المتكلّمين الأشاعرة:

والمتكلّمون ممن يدعي الإسلام؛ لكن أضلّهم الله عن معرفة الإله، فذُكِرَ عن الأشعري، ومن تَبعه: أنه القادرُ، وأن الألوهية هي القدرة.

فإذا أقررنا بذلك، فهي معنى قوله: (لا إله إلا الله)، ثم استحوذ عليهم الشَّيطان؛ فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلَّا بنفي الصِّفات، فنفوها، وسموا من أثبتها: (مُجسمًا) !!

ورد عليهم أهل السُّنة بأدلة كثيرة، منها: أن التوحيد لا يتم إلَّا بإثباتِ الصِّفات؛ وأن معنى الإله: هو المعبود؛ فإذا كان هو سبحانه متفردًا به عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفًا صحيحًا، لم يكذب الواصف به، فهذا يدلّ على الصفات، فيدلّ على العلم العظيم، والقدرة العظيمة؛ وهاتان الصِّفتان: أصل جميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

فإذا كان الله قد أنكر عبادة مَن لا يملك لعباده نفعًا ولا ضرًّا، فمعلوم: أن هذا يستلزم العلم بحاجة العباد ناطقها وبهيمها؛ ويستلزم: القدرة على قضاء حوائجهم، ويستلزم الرحمة الكاملة، واللطف الكامل، وغير ذلك من الصِّفات، فمن أنكر الصِّفات، فهو مُعطّل؛ والمعطل: شرٌّ من المشرك.

ولهذا كان السلف، يسمون التصانيف في إثبات الـصِّفات: (كتـب التوحيد)، وختم البخاري «صحيحه» بذلك، قال: (كتاب التوحيد)؛ ثـم ذكر الصِّفات بابًا بابًا.

فنكتة المـسألة: أن المتكلمـين يقولـون: التوحيـد لا يـتم إلّا بإنكـار الصفات.

فقال أهل السُّنة: لا يتم التوحيد إلّا بإثبات الـصِّفات، وتوحيـدكم هو: التَّعطيل، ولهذا آل هذا القـول لبعـضهم إلى إنكـار الـرَّب تبـارك وتعالى، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام من النـاس، لا يحصيهم إلّا الله ..

فبيّن السلف: أن العبادة إذا كانت كلّها لله عن جميع المخلوقات فـلا تكون إلّا بإثبات الصِّفات والأفعال، فتبيَّن: أن منكر الـصِّفات، منكـر لحقيقة الألوهية؛ لكن لا يدري.

وتبيَّن لك: أن من شهد أن لا إله إلّا الله صدقًا مـن قلبـه، لا بُـدَّ أن يثبت الصفات والأفعال؛ ولكن العجب العُجاب: ظن إمامهم الكبير [يعني: الأشعري]، أن الألوهية: هي القُدرة، وأن معنى قولك: لا إلـه إلّا الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلّا الله. ! اهـ

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ الله صاحب كتاب «فتح المجيد» كما في «الدُّرر السَّنية» (٣/ ٢٠٨-٢١١): وهذه الطائفة التـي تنتـسب إلى أبي الحَسَن الأشعري، وصـفوا رب العـالمين بـصفات المعـدوم والجـماد، فلقد أعظموا الفرية على الله، وخالفوا أهل الحقِّ من الـسَّلف والأئمـة وأتباعهم .. إلى أن قال: فهذه الطائفة المنحرفة عن الحـقّ، قـد تجـردت

شياطينهم لصدِّ الناس عن سبيل الله، **فجحدوا توحيد الله في الألوهية، وأجازوا الشرك الذي لا يغفره الله،** فجوزوا: أن يُعبد غيره من دونه، وجحدوا توحيد صفاته بالتعطيل. فالأئمة من أهل السُّنة وأتباعهم، لهم المصنفات المعروفة في الرد على هذه الطائفة الكافرة المعاندة .. اهـ

قال ابن بدران في «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» (ص٤٩٦): إذا رأيت كتب الذين يزعمون أنهم أشاعرة رأيتهم على مذهب أرسطاطاليس وَمن تبعه كابن سينا والفارابي، ورأيت كتبهم عنوانها علم التوحيد وباطنها النوع المسمى بالإلهي من الفلسفة، وإذا كنت في ريب مما قلناه من الكلام، فانظر: «المواقف» لعضد الدين الإيجي، وشرحه للسيد الجرجاني، وما عليه من الحواشي، ثم تأمل كتاب «الإشارات»، وكتاب «الشفا» لابن سينا، وشروح الأول، فإنك تجد الكل من وادٍ واحدٍ لا فرق بينهما إلَّا بالتصريح باسم المعتزلة والجبرية وغيرهما، فهل يؤخذ توحيد من هذه الكتب إلَّا بعد الوقوع بألف ورطة، ثم إن سلم السالك من هذه الطامات ظفر بتوحيد من جنس توحيد الفلاسفة والملاحدة. اهـ

قلت: وقد تكلمت عن هذه المسألة ونقلت بعض كلام أئمة الأشاعرة في توحيد الألوهية وما تضمنه من الشرك الأكبر أو الأصغر في كتابي: «الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلهية»، (المبحث الأول: العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصِّفات وأن توحيد العبادة لا يتم إلَّا بإثبات الصِّفات؛ وكل مُعطّلٍ فلا بد أن يكون مشرِكًا، وأن التَّعطيل شرٌّ من الشِّرك).

٢ـ قولهم في الإيمان.

أما مذهب الأشاعرة في الإيمان فهو التصديق القلبي المجرد، ولو لم يتكلم بكلمة التوحيدِ، ولم يعمل بجوارحِه قط.

فوافقوا الجهمية في تعريفِ الإيمانِ أنه: التصديق فقط دون القول والعمل.

قال إمامهم الباقلاني: وأن يعلم أن الإيمان بالله ﷻ هو التصديق بالقلب، بأنه الواحد الفرد. اهـ

قال الزنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرحه لمنظومته في السُّنة» (ص١٠٦): وأما المرجئة: فهم من البدع القديمة، وهم طوائف، وبينهم دقائق اختلافٍ تكثر، فمن قول بعضهم: (إن الإيمان قول وعقد)، وهو قول المريسي، ومن قول بعضهم: (إن الإيمان المعرفةُ بالله، وهو العلم بوجوده)، وهو قول جهمٍ والأشعري، وهو أخبثُها مقالة .. إلخ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١١٩): والقاضي أبو بكر الباقلاني نصرَ قول جهم في مسألة الإيمان مُتابعةً لأبي الحسن الأشعري وكذلك أكثر أصحابه. اهـ

وقال أيضًا (٧/ ٥٨٢): وبهذا وغيره يتبيَّن فساد قول جهم والصالحي ومن اتبعهما في الإيمان كالأشعري في أشهر قوليه، وأكثر أصحابه، وطائفة من مُتأخِّري أصحاب أبي حنيفة كالماتريدي ونحوه، حيث جعلوه مُجرد تصديق في القلب يتساوى فيه العباد. اهـ

- وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرسائل

والمسائل النجدية» (٢/ ١٧٦-١٧٧): ومذهب الأشاعرة: أن الإيمان مُجرد التصديق، ولا يدخلون فيه أعمال الجوارح.

قالوا: وإن سُمِّيت الأعمال في الأحاديث إيمانًا فعلى المجاز لا على الحقيقة.

ومذهب أهل السُّنة والجماعة: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وقد كفّر جماعة من العلماء من أخرج العمل عن الإيمان. اهـ

قلت: ومن تكفير أهل السُّنة لمن ذهب هذا المذهب:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: .. الجهمية تقول: إذا عرف ربه بقلبه، وإن لم تعمل جوارحه؛ وهذا كفر، إبليس قد عرف ربه، فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. [«السُّنة» للخلال (٩٨٠)]

- وقال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالت الجهمية: المعرِفةُ بالقلب بما جاء مِن عندِ الله يجزئُ من القولِ والعملِ؛ وهذا كفر. [«السُّنة» لعبدالله (٣٩٩)]

- وقال محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٧٠٠): وقد جامعتنا في هذا المرجئة كلها على أن الإقرار باللسان من الإيمان إلَّا فرقة من الجهمية كفرت عندنا وعند المرجئة بزعمهم أن الإيمان هو المعرفة فقط .. إلخ

وكذا كفرهم أبو عُبيد القاسم بن سلَّام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإيمان» (باب من جعل الإيمان المعرفة بالقلب وإن لم يكن عمل).

٣ـ نفيهم علو الله تعالى على خلقه.

الأشاعرة المتأخرون مجمعون على نفي علو الله تعالى، بل صرَّح بعضهم بكفر من أثبت العلو لله تعالى كما تقدم نقل أقوالهم في مقدمة هذا الكتاب (ص ٣٩).

قال السِّجزي رحمه الله (ص١٣٧) في «رسالته في الحرف والصوت» وهو يُبيِّن موافقتهم للمعتزلة في نفي العلو: (بيان موافقتهم للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول، وأنهم زائدون عليهم في القبح، وفساد القول في بعضها).

قال: وأنكرت [المعتزلة] حديث المعراج.

وقال الأشعري: إنه ثابت، ثم قال: الله لا يجوز أن يوصف أنه فوق.

فكذب بما في حديث المعراج، فصار موافقًا لهم مع إظهاره الخلاف. اهـ

وقال أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٥/ ١٣٥) وهو يقارن بين مذهب الجهمية والأشاعرة ويبين أنه لا فرق بينهما في الحقيقة:

قال: أولئك قالوا -قبح الله مقالتهم- [يعني الجهمية]: إن الله موجود بكل مكان.

وهؤلاء يقولون [يعني الأشاعرة]: ليس هو في مكان، ولا يوصف بأين ؟ ..

وقالوا: هو من فوق كما هو من تحت، لا يدرى أين هو ؟ ولا يوصف بمكان، وليس هو في السماء، وليس هو في الأرض، وأنكروا

الجهة والحد. اهـ

- قال الشيخ عبدالله أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرسائل والمسائل» (٢/ ١٧٦):

اعلم أن أكثر أهل الأمصار اليوم أشعرية، ومذهبهم في صفات الرب سبحانه وتعالى موافق لبعض ما عليه المعتزلة الجهمية ...

إلى أن قال: والأشعرية لا يثبتون علو الرب فوق سمواته، واستواءه على عرشه، ويسمون من أثبت صفة العلو والاستواء على العرش مُجسمًا مُشبهًا.

وهذا خلاف ما عليه أهل السُّنة والجماعة .. وصرَّح كثيرٌ من السَّلف بكفر من لم يثبت صفة العلو والاستواء.

والأشاعرة وافقوا الجهمية في نفي هذه الصفة؛ لكن الجهمية يقولون: إنه سبحانه وتعالى في كل مكانٍ، ويُسمون الحلولية.

والأشعرية يقولون: كان ولا مكان، فهو على ما كان قبل أن يخلق المكان. اهـ

قلت: ونفي الأشاعرة لعلو الرب تعالى واستوائه على عرشه لا يجادل فيه أحدٌ ممن يفهم ويعقل حقيقة قول الأشاعرة، وقد نقلت أقوالهم في مقدمة هذا الكتاب، بل وتصريحهم بتكفير من أثبت علو الله تعالى على خلقه.

وأما تكفير أئمة السُّنة لمن أنكر العلو فهو متواتر مستفيض، وما هذا الكتاب إلَّا لتقرير هذه المسألة، وقد تقدم نقل كثير من أقوالهم، ومن ذلك:

- قال ابن خزيمة رحمه الله: من لم يقرّ بأن الله تعالى على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر بربه، يُستتاب فإن تاب وإلَّا ضربت عنقه، وألقي على بعض المزابل حيث لا يتأذَّى المسلمون والمعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئًا لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال ﷺ. [«معرفة علوم الحديث» (ص ١٢٥)]

- وقال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في «الرد على الجهمية» (٣٦٨) وهو يذكر أوجه تكفير الجهمية: ونكفرهم أيضًا أنهم لا يدرون أين الله ؟ ولا يصفونه بـ (أين؟) والله قد وصف نفسه بـ (أين؟)، ووصفه به الرسول ﷺ.. وهذا أيضًا من واضح كفرهم، والقرآن كله ينطق بالرد عليهم، وهم يعلمون ذلك أو بعضهم؛ ولكن يكابرون ويغالطون الضعفاء، وقد علموا أنه ليس من حجة أنقض لدعواهم من القرآن، غير أنهم لا يجدون إلى رفع الأصل سبيلًا مخافة القتل والفضيحة، وهم عند أنفسهم بما وصف الله به فيه نفسه جاحدون، قد ناظرنا بعض كبرائهم وسمعنا ذلك منهم منصوصًا مفسرًا ... فأي كفر أوضح مما حكيناه عنهم من سوء مذاهبهم. اهـ

بل جعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كفر نفاة علو الله تعالى على خلقه أعظم من كفر عباد الأوثان، فقال في «بيان تلبيس الجهمية» (٤/ ١٧٦) في كلامه على إمام الأشاعرة الرازي: يتبين أن الذي قلتَه أقبح من هذا الشرك، ومن جعل الأنداد لله، كما أن جحود فرعون الذي وافقتموه على أنه ليس فوق السموات رب العالمين إله موسى جحوده لرب العالمين، ولأنه في السماء كان أعظم من شرك المشركين

الذين كانوا يقرون بذلك ويعبدون معه آلهة أُخرى.. اهـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «درء التعارض» (٧/ ٢٦): القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسُّنة وإجماع سلف الأُمة بعد تدبر ذلك .. والأحاديث عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين مُتواترة موافقة لذلك، ولهذا كان السَّلف مُطبقين على تكفير من أنكر ذلك؛ لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدِّين .. اهـ

- وقال الشيخ سُليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ: مسألة علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله من المسائل الجلية الظاهرة، ومما عُلِمَ من الدين بالضرورة، فإن الله قد وضحها في كتابه، وعلى لسان رسوله، فمن سمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية: فقد قامت عليه الحُجة، وإن لم يفهمها، فإن كان ممن يقرأ القرآن فالأمر أعظم وأطم لاسيما إن عاند وزعم أن ما كان عليه هو الحق، وأن القرآن لم يُبيِّن ذلك بيانًا شافيًا كافيًا؛ فهذا كفره أوضح من الشمس في نحر الظهيرة، ولا يتوقف في كفره من عرف الإسلام وأحكامه وقواعده. اهـ

[من كتاب: «إجماع أهل السُّنة النبوية على تكفير المعطلة الجهمية» (ص١١٧)]

٤ـ اعتقادهم في القرآن أنه عبارة عن كلام الله.

الأشاعرة وإن قالوا في الظاهر: إن القرآن كلام الله، فهم يقصدون بذلك الكلام النفسي الذي هو عبارة عن كلام الله تعالى، وهو ليس بحرف ولا صوت، وهذا القول الذي لا وجود له في الحقيقة، وهو

عين كلام الجهمية النافين لكلام الله تعالى، وإنما الفرق أن الجهمية صرَّحوا بذلك، والأشاعرة أخفوا ذلك.

- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاستقامة» (١/ ٢١٢): فلا خلاف بين الناس أن أول من أحدث هذا القول في الإسلام - أي الكلام النفسي - أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، واتبعه على ذلك أبو الحسن الأشعري ومن نصر طريقتهما .. إلخ

- قال السِّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته إلى أهل زبيد» (ص١٣٧) وهو يُبيِّن موافقة الأشاعرة للمعتزلة في مسألة القرآن:

وقالت المعتزلة: السور والآي مخلوقة، وهي قرآن معجز.

وقال الأشعري: القرآن كلام الله سبحانه، والسور والآي ليست بكلام الله سبحانه، وإنما هي عبارة عنه، وهي مخلوقة.

فوافقهم في القول بخلقها، وزاد عليهم بأنها ليست قرآنًا، ولا كلام الله سبحانه.

فإن زعموا أنهم يُقرُّون بأنها قرآن: قيل لهم: إنما يُقرُّون بذلك على وجه المجاز، فإن من مذهبهم أن القرآن غير مخلوق، وأن الحروف مخلوقة، والسور حروف بالاتفاق، من أنكر ذلك لم يخاطب.

وإذا كانت حروفًا مخلوقة لم يجز أن يكون قرآنًا غير مخلوق. اهـ

قال أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ذم الكلام» (٥/ ١٣٦): وقال أولئك [يعني الجهمية]: ليس له كلام، إنما خلق كلامًا.

وهؤلاء يقولون: تكلم مرَّة، فهو متكلم به منذ تكلم، لم ينقطع

الكلام، ولا يوجد كلامه في موضع ليس هـو بـه .. ثـم قـالوا: لـيس لـه صوت ولا حرف.

وقالوا: هو زاج وورق .. وهذا صوت القارئ .. فراوغوا فقالوا: هذا حكاية عبَّر بها عن القرآن، والله تكلم مرَّة، ولا يتكلم بعد ذلك، ثم قالوا: غير مخلوق، ومن قال: مخلوق كافر. وهذا مـن فخـوخهم يـصطادون بـه قلوب عوام أهل السُّنة، وإنما اعتقادهم : (القـرآن غـير موجـود)؛ لفظتـه الجهمية الذكور بمرَّة، والأشعرية الإناث بعشر مرات. اهـ

- قال الزنجاني (٤٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه لمنظومتـه» (ص١١٠): وأما عبدالله ابن سعيد بن كُلَّاب فكان نصرانيًّا من أهل البصرة، فأسلم وفارق قومه .. وهو الذي يزعم أن ليس لله كـلام مـسموع منـه، وأن جبريل لم يسمع من الله شيئًا ممـا أدَّاه إلى رسـله، وأن الـذي أُنـزل عـلى الأنبياء حكاية كلام الله، وأن كلام الله ليس بأمرٍ ولا نهيٍ، ولا خبر ولا استخبار، وإنما يُعرف ذلك منه بمعنى آخرَ، وأنه ليس لله كلـمات، وأن كلامه شيءٌ واحدٌ ليس بسورة، ولا آيات كلمات ولا لغة من اللغـات، فكذَّب بدءًا بالقرآن .. وخالف الأمة كلَّها في كون ما في الأرض كـلام الله وكتابه، وكان هو والأشعري وغيرُهم من اللفظية يزعمون أن كلام الله في الحقيقة لا يكون عربيًّا ولا عبرانيًّـا ولا سريانيًّـا، ولا بلغـةٍ مـن اللغات، ولا يجوز أن يكون سورًا ولا آياتٍ، ولا ذا أجزاءٍ ولا أعـداد، ولا يجوز نزوله إلى أحدٍ من الأنبياء في الحقيقة، ولا وجـوده في محـلٍّ لا قلب ولا لسان ولا صحيفة.

وذكر ابن فورك في كتابه: مجرَّد قول الأشـعري أنـه كـان يقـول: إن

كتاب الله غيرُ كلامه، وإن الأعداد والأجزاء في الكتاب لا في الكلام، وإن التوراة والإنجيل والزبور تسميات العبارات المنزَّلة المختلفة، وكلام الله لا يستحق شيئًا من هذا التسميات، وكلهم تزعَّموا أنه يرد على المعتزلة في خلق القرآن، **فليتأمَّل الناظرُ هذا الفصل من كلامهم يتبيَّن له تلاعُبُ القوم ورِقَّةُ دينهم، فلم يقع الخلافُ مع المعتزلة وغيرهم إلَّا فيما في الدنيا من القرآن المحفوظ في الصدور**، المقروء بالألسن، المكتوب في المصاحف، ولم يعرفِ الخلقُ بأسرهم قرآنًا غيره. اهـ

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في «حكاية المناظرة في القرآن» (ص١٧): موضع الخلاف: أننا نعتقد أن القرآن كلام الله، وهو هذه المائة والأربع عشرة سورة .. وأنه سور وآيات وحروف وكلمات، متلوٌّ مسموع مكتوب.

وعندهم [يعني الأشاعرة]: أن هذه السور والآيات ليست بقرآن، **وإنما هي عبارة وحكاية**، وأنها مخلوقة، وأن القرآن معنى في نفس الباري، وهو شيء واحد، لا يتجزَّأ، لا يتبعَّض، ولا يتعدد، ولا هو شيء ينزل، ولا يُتلى، ولا يُسمع، ولا يُكتب، وأنه ليس في المصاحف إلَّا الورق والمداد ..

وقال (ص٣٢): هذا القرآن الذي أجمع عليه المسلمون، وكفر به الكافرون، وزعمت المعتزلة أنه مخلوق، وأقرَّ الأشعري أنهم مخطِئون، ثم عاد فقال: هو مخلوق، وليس بقرآن فزاد عليهم.

ولا خِلاف بين المسلمين أجمعين أن من جحد آية أو كلمة مُتفقًا عليها، أو حرفًا مُتفقًا عليه أنه كافر .. والأشعري يجحده كله، ويقول: ليس شيء منه قرآنًا، وإنما هو كلام جبريل .. ومدار القوم على القول بخلق

القرآن ووفاق المعتزلة؛ ولكن أحبوا أن لا يُعلمَ بهم فارتكبوا مكابرة العيان، وجحد الحقائق، ومخالفة الإجماع، ونبذ الكتاب والسُّنة وراء ظهورهم، والقول بشيء لم يقله قبلهم مسلمٌ ولا كافر.

ومن العجائب أنهم لا يتجاسرون على إظهار قولهم، ولا التصريح به إلَّا في الخلوات، ولو أنهم وُلاةُ الأمر وأرباب الدولة، وإذا حكيت عنهم مقالتهم التي يعتقدونها كَرِهوا ذلك وأنكروه، وكابروا عليه، ولا يتظاهرون إلَّا بتعظيم القرآن، وتبجيل المصاحف، والقيام لها عند رؤيتها، وفي الخلوات يقولون: ما فيها إلَّا الورق والمداد، وأي شيء فيها ؟ وهذا فعل الزنادقة.

ولقد حكيتُ عن الذي جرت المناظرة بيني وبينه ما قاله، فنُقل إليه ذلك فغضب، وشقَّ عليه، وهو من أكبر ولاة البلد، وما أفصح لي بمقالته حتى خلوتُ معه، وقال: أريدُ أن أقول لك أقصى ما في نفسي، وتقول لي أقصى ما في نفسك، وصرَّح لي بمقالتهم على ما حكيناه عنهم، ولما ألزمته بعض الآيات الدالة على أن القرآن هو هذه السور، قال: أنا أقول: إن هذا القرآن؛ ولكن ليس هو القرآن القديم. قلت: ولنا قرآنان ؟

قال: نعم، وأي شيء يكون إذا كان لنا قرآنان ؟

ثم غضب لما حكيتُ عنه هذا القول .. ولا نعرف في أهل البدع طائفة **يكتمون مقالتهم، ولا يتجاسرون على إظهارها إلَّا الزنادقة والأشعرية ..**

فقوله قول **المعتزلة لا محالة؛** إلَّا أنه يريد التلبيس، فيقول في الظاهر قولًا يوافق أهل الحق، ثم يفسِّره بقول المعتزلة.

فمن ذلك أنـه يقـول: القـرآن مقـروء، متلـو، محفـوظ، مكتـوب، مسموع.

ثم يقول: القرآن في نفس الباري قائمٌ به، ليس هـو سـورًا ولا آيـاتٍ، ولا حروفًا، ولا كلمات. فكيف يُتصوَّر إذًا قراءته وسماعه وكتابته ؟

ويقولون: إن موسى سمع كلام الله من الله، ثم يقولون: ليس بصوت..

ثم كيف يحلُّ أن يوهموا العامة ما يقوى به اعتقادهم الذي يزعمون أنه بدعة من تعظيمهم للمصاحف في الظاهر، واحترامها عن الناس ..

وهذا هو النفاق في عهد رسول الله ﷺ، وهو الزندقة اليـوم، وهـو: إظهار موافقة المسلمين في اعتقادهم، ويُضِمَر خلاف ذلك.

وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة، **فهـم زنادقـة بغـير شـكٍّ**، فإنـه لا شـكَّ في أنهـم يُظهـرون تعظـيم المـصاحف إيهامًـا أن فيهـا القـرآن، ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلَّا الورق والمداد، ويُظهـرون تعظـيم القرآن .. ويعتقدون أنه من تأليف جبريل وعبارته، ويُظهرون أن موسى سمع كلام الله من الله، ثم يقولون: ليس بـصوت، ويقولـون في أذانهـم وصلواتهم: أشهد أن محمدًا رسول الله، ويعتقدون أنـه انقطعـت رسـالته ونبوَّته بموته، وأنه لم يبق رسول الله، وإنما كان رسول الله في حياته.

وحقيقة مذهبهم: أنه ليس في السماء إله، ولا في الأرض قـرآن، ولا أن محمدًا رسول الله.

وليس في أهل البدع كلهم من يتظاهر بخلاف ما يعتقدونه غيرهم، وغير من أشبههم من الزنادقة. اهـ

قلت: وهذا الكلام يصرِّحُ به أئمة الأشاعرة في كتبهم وشروحاتهم، ومن ذلك:

- قال ابن فورك في «مشكل الحديث» (ص٤٠٤) وهو يتكلم عن حديث ابن مسعود ﷺ: «**إذا تكلم الله بالوحي** .. » الحديث، فقال: معنى ذلك راجع إلى العبارات والدلالات التي هي الطريق إلى الكلام، وبها يفهم مراده منه، لا أنه تعالى قوله إذا تكلم الله بالوحي أنه يتجدد له كلام؛ ولكنه يتجدد إسماع وإفهام بخلق عبارات ونصب دلالات بها يفهم الكلام، ثم يقال على طريق السعة والمجاز لهذه العبارات: كلام من حيث أنها دلالات عليه. اهـ

- قال القرطبي في «المفهم في شرح مسلم» (٢/ ٢٩٦) وهو يشرح حديثًا: ففيه: دليلٌ لأهل السُّنة [يعني الأشاعرة] على أن في النَّفسِ كلامًا وقولًا؛ فهو ردٌّ على مَنْ أنكرَ ذلك من المعتزلةِ وأهلِ البدع. اهـ

- وقال البيجوري في «شرحه لجوهرة التوحيد»: ومذهب أهل السُّنة [يعني: الأشاعرة] أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرأه فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال: (القرآن مخلوق) يريد به اللفظ الذي نقرأه إلَّا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن. اهـ

وقد صرَّح كبار أئمتهم المتأخِّرين أن الخلاف بينهم وبين المعتزلة في القرآن خلاف لفظي فقط، ولولا خشية الإطالة لنقلت أقوالهم في ذلك.

ولقد كفَّر أئمة السُّنة من نفـى حقيقـة كـلام الله تعـالى وقـال: بـأن القرآن عبارة وحكاية عن كلام الله، وليس هو بحـرف وصـوت، وإن كان يقول في الظاهر بأنه كلام الله من بـاب التمويـه والتلبـيس، فـإنما العبرة بالحقائق لا الأسماء.

وممن صرَّح بكفر من اعتقد أن القرآن عبارة وحكاية عن كـلام الله ﷻ:

١ – ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٢١٤) حيث قال: واعلموا رحمكم الله أن صِنفًا من الجهمية اعتقدوا بمكر قلوبهم، وخبث آرائِهم، وقبيح أهوائِهم، أن القرآن مخلوق، فكنَوا عن ذلك ببدعةٍ اخترعوهـا، تمويها وبهرجةً على العامةِ، ليخفى كفرهم، ويستغمض إلحـادهم عـلى من قلَّ علمه، وضعفت نحيزته، فقالوا: إن القرآن الذي تكلـم الله بـه وقاله، فهو كلام الله غير مخلوق، وهذا الذي نتلـوه ونقـرؤه بألـسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا ليس هو القرآن الذي هو كـلام الله، **هـذا حكايـةٌ لذلك، فما نقرؤه نحن حكايةٌ لذلك**. اهـ

٢ – اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ في «اعتقاد أهل السُّنة» (٢/ ٣٣٠) حيث قـال: سياق ما دلَّ من الآيات من كتاب الله تعالى وما روي، عـن رسـول الله ﷺ، والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنـه أنزله على محمد ﷺ، وأمره أن يتحدَّى به، وأن يدعو النـاس إليـه، وأنـه القرآن على الحقيقة متلوٌّ في المحاريب، مكتوبٌ في المـصاحف، محفـوظٌ في صدور الرجال، **ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن**، وهو قرآن واحد غير مخلوق، وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة مـن صـفات ذاتـه، لم

يزل به متكلمًا، **ومن قال غير هذا فهو كافر ضالٌّ مُضلٌّ مبتدع، مخـالفٌ لمذاهب السُّنة والجماعة**. اهـ

٢- ابن الحنبلي في «الرسالة الواضحة في الـرد عـلى الأشـاعرة» في ردِّه عليهم في مسألة القرآن (٢/ ٦٨٤) حيث قال: واعلم يا أخي - وفقنـا الله وإياك - أن الأشاعرة يسلكون في إبطال القرآن مسلك الباطنيـة في الإلحاد والزندقة.

وقال (٢/ ٣٠٧): (والجهمية - لعنهم الله - على أصناف مختلفة :

أ- فمنهم من يقول: القرآن ليس هو كلام الله، ولا هو مخلوق.

ب- ومنهم من يقول: القرآن كلام الله، ولا يقـول: إنـه مخلـوق أم غير مخلوق.

ج- وطائفة منهم تقول: إنه حكاية عن ذلك القرآن ..

قال: فهؤلاء الأصناف **كلها هم الجهمية، وهم كفار زنادقة** .. اهـ

٣- والقحطاني رَحِمَهُ اللهُ في نونيته حيث قال:

من قـال في عبارة وحكـاية فغـدًا يُـجــرَّع مـــن حميمٍ آن

٤- وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يتكلم عن القرآن وأنه كلام الله تعالى، ثـم قارن بين قول الأشاعرة والمعتزلة، وأن حقيقة قول الأشاعرة في القرآن الذي بين أيدينا أنه مخلوق، قال: قالوا: المكتـوب المحفـوظ المتلـو هـو الحكاية أو العبارة المؤلفة المنطوق بهـا التـي خلقهـا الله في الهـواء أو في اللوح المحفوظ أو في نفس الملك.

فيقال: هذه عنـدكم ليـست كـلام الله إلَّا عـلى المجـاز، وقـد علـم

بالاضطرار أن هذا الكلام العربي هو القرآن وهو كتاب الله وكلامـه .. وعندكم أن القرآن يستحيل أن يقرأ لأنه ليس بحـروف ولا أصـوات، وإنما هو واحد الذات ليس بسور ولا آيـات.. قـال تعـالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبـة:٦]، وعندهم أن الذي يسمع ليس كلام الله على الحقيقة وإنما هو مخلوق حُكي به كلام الله على أحد قوليهم، وعبارة عبَّر بها عن كلامه على القول الآخر، وهو مخلوق على القولين، فالمقروء والمسموع والمكتوب والمحفوظ ليس هـو كـلام الله، وإنما هو عبارة عبَّر بها عنه كما يُعبِّر عن الذي لا ينطـق ولا يـتكلم من أخرس أو عاجز ..

ويعجب هذا القائل من نصب الخلاف بينهم وبين المعتزلة، وقال: ما نثبته نحن من المعنى القائم بالنفس فهـو مـن جـنس العلـم والإرادة، والمعتزلة لا تنازعنا في ذلك، وغاية ما في الباب أنا نحن نسميه كلامًـا، وهم يسمونه علمًا وإرادة، وأما هذا النظم العـربي الـذي هـو حـروف وكلمات وسور وآيات، فنحن وهم مُتفقون على أنه مخلوق، لكـن هـم يسمونه قرآنًا، ونحن نقول: هو عبارة عن القرآن، أو حكاية عنه.

فتأمل هذه الأخوة التي بين هؤلاء وبين المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل. اهـ

["مختصر الصواعق" (٤/ ١٣٨٢١-١٣٨٢)]

٥ـ نفيهم الحرف والصوت في كلام الله تعالى.

تواتر النقل عن أئمة متأخري الأشاعرة في نفي الحـرف والـصوت

في كلام الله تعالى، فهم يثبتون كلامًا لا حقيقة له في الوجـود، وهـو كـلام بلا حرفٍ ولا صوت، وإنما هـو كـلام نفـسي كـما تقـدم قريبًـا قـولهم في القرآن.

قال السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسـالته إلى أهـل زبيـد» (ص١٣٧) (بيـان موافقتهم للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول، وأنهم زائدون علـيهم في القـبح، وفـساد القـول في بعـضها): قالـت المعتزلـة: لا يجـوز أن توصف ذات الله بالكلام، ولا كلام إلَّا ما هو حرف وصـوت. وقـال الأشعري: يجب وصف ذاته سبحانه بـالكلام، ولـيس ذلـك بحـرفٍ ولا صوت، فنفى ما نفته المعتزلـة، وأثبـت مـا لا يُعقـل، فهـو مُظهـرٌ خلافهم، موافق لهم في الأصل. اهـ

وأقوالهم كثيرة في نفي الحرف والصوت، وأن الله تعالى لما كلم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يتكلم بصوت سمعه منه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومن ذلك:

١ - قال الباقلاني في «الإنصاف»: ولا يجـوز أن يطلـق عـلى كلامـه شيء من أمارات الحدث من حرف وصوت. اهـ

٢ - قال البيهقي في «الأسماء والـصفات» (٢/ ٢٨-٢٩): .. والبـاري جل ثناؤه ليس بذي مخارج، وكلامه ليست بحرف ولا صوت. اهـ

٣- قال الجويني في «الإرشاد» (ص١٢٤): فإن الكلام عنـد أهـل الحق معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت. اهـ

٤ - وقال ابن عطية في «المحرر الوجير» (٢/ ١٣٧): وكلام الله للنبي موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دون تكييف ولا تحديد ولا تجويز حدوث، ولا حروف ولا

أصوات، والذي عليه الراسخون في العلم: أن الكلام هو المعنى القائم في النفس، ويخلق الله لموسى أو جبريل إدراكًا من جهة السمع يتحصل به الكلام. اهـ

وقال: فقد سمع موسى كلام الله القديم، وهو ليس بحرف ولا صوت. اهـ

٥- قال القرطبي في «المفهم في شرح مسلم» (٦/ ١٨١): كلامه تعالى ليس بحرف ولا صوت كما هو مُبرهن عليه في موضعه. اهـ

٦- قال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٥٨): وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به، ثم إما التفويض، وإما التأويل. اهـ

وقال (١٣/ ٤٦٠): وأثبتت الحنابلة أن الله متكلم بحرفٍ وصوت. اهـ

٧- قال البيجوري في «شرح الجوهرة» عن صفة كلام الله تعالى: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت. اهـ

قلت: قد كفر أئمة السُّنة من نفى الحرف والصوت في كلام الله ﷻ، ومن أنكر حقيقة كلام الله تعالى لموسى عليه السلام وأنه بصوت سمعه موسى عليه السلام من الرب تعالى، ومن ذلك:

١- قال عبدالله بن أحمد رحمه الله في «السُّنة» (٥١٨): سألتُ أبي رحمه الله: عن قومٍ يقولون: لما كلّم الله ﷻ موسى لم يتكلّم بصوتٍ ؟

فقال أبي: بلى، إن ربَّك ﷻ تكلّم بصوتٍ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

وقال: حديث ابن مسعود ﷺ: إذا تكلَّم الله ﷻ سمعَ له صوتٌ كجرِّ السِّلسِلة على الصَّفوان. قال أبي رحمه الله: وهذا الجهمية تنكره.

قال أبي: هؤلاء كفارٌ، يريدون أن يمِّوهوا على الناسِ، مَن زعم أن الله ﷻ لم يتكلَّم فهو كافرٌ، إلَّا أنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت.

٢- قال المروذي رحمه الله: سمعت أبا عبدالله وقيل له: إن عبدالوهاب: قد تكلم، وقال: من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي، عدو الله، وعدو الإسلام.

فتبسم أبو عبدالله، وقال: ما أحسن ما قال، عافاه الله.

[«الدرء» (٢/ ٣٩)].

٣- قال الآجري رحمه الله في «الشريعة» (٣/ ١١٠٧): من ادعى أنه مسلم ثم زعم أن الله ﷻ لم يكلم موسى فقد كفر، يستتاب فإن تاب وإلَّا قتل.

قيل: لأنه رد القرآن، وجحد، ورد السُّنة، وخالف جميع علماء المسلمين، وزاغ عن الحق .. فأما الحجة عليهم من القرآن فإن الله ﷻ قال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤] .. فمن زعم أن الله ﷻ لم يكلم موسى ردَّ نص القرآن، وكفر بالله العظيم.

فإن قال منهم قائل: إن الله تعالى خلق كلامًا في الشجرة فكلم به موسى.

قيل له: هذا هو الكفر؛ لأنه يزعم أن الكلام مخلوق، تعالى الله ﷻ عن ذلك، ويزعم أن مخلوقًا يدعي الربوبية، وهذا من أقبح القول

وأسمجه.

وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: (إني أنـا الله)، نعـوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر، يستتاب فإن تاب ورجع عن مذهبه السوء وإلَّا قتله الإمام، فإن لـم يقتله الإمـام ولم يـستتبه وعلـم منه أن هذا مذهبه: هجر، ولم يكلم، ولـم يسلم عليه، ولم يصل خلفـه، ولم تقبل شهادته، ولم يزوجه المسلم كريمته. اهـ

وانظر: «الإبانة الكبرى» (باب التصديق بأن الله تبارك وتعالى كلـم موسى، وبيان كفر من جحده وأنكره).

قلت وتأمل هذه العقائد التي تقدم نسبتها للأشاعرة مع هذا الكلام لإمام من أئمة السلف والسُّنة:

قال عمرو بن العباس: سمعت عبدالرحمن بن مهدي، وقيل له: إن الجهمية يقولون: إن القرآن مخلوق.

فقال: إن الجهمية لـم يريدوا ذا، وإنما أرادوا أن :

أ- ينفوا أن يكون الرحمن على العرش استوى.

ب- وأرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسـى، وقـال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

ت- وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله تعالى.

أرى أن يستتابوا؛ فإن تابوا وإلّا ضُربت أعناقهم.

[«الأسماء والصفات» (٥٤٦)]

٦ـ تحريفهم لنصوص صفات الله تعالى.

متأخِّرو الأشاعرة مجمعون على تحريف صفات الله تعالى وإبطال حقيقتها، وهو ما يسمونه: (تأويلًا)، وهو في حقيقته تحريف وتكذيب وإنكارٌ لها، وقد سلكوا هذا المسلك خوفًا من الافتضاح أمام العامة والخاصة، فذهبوا إلى إبقاء ألفاظ نصوص الصفات كما هي، وتَسَلَّطوا على مَعانيها بالتحريف والتأويل المبتدع، والذي في طياته التكذيب بها، كما قال ابن منده رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الرد على الجهمية»: التأويل عند أصحاب الحديث: نوعٌ مِن التكذيب. اهـ

وهذه هي وصية إمامهم الأكبر بشر المريسي - أخزاه الله - الذي أخذوا عنه التحريف والتعطيل لنصوص الصفات.

قال عثمان الدارمي رَحِمَهُ اللهُ في «النقض» (ص٥٥٨): وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قالوا له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في ردِّ مذهبنا مما لا يمكن التكذيب بها ؟ مثل: سفيان عن منصور عن الزُّهري. والزُّهري عن سالم. وأيوب وابن عون عن ابن سيرين. وعَمرو بن دينار عن جابر عن النبي ﷺ وما أشبهها ؟

فقال المريسي: لا تردوه فتفتضحوا؛ ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلُطفٍ إذ لم يمكنكم ردّها بعُنفٍ.

وعن الحسن بن البزَّار قال: جاء رجل إلى المريسي، فقال: يا أبا عبدالرحمن، أُذاكِر أصحاب الحديث، فكلما ذكروا الحديث عن النبي ﷺ رددته، فيقولون: أنت كافر.

قال: صدقوا !! إذا ذكروا الحديث عن النبي ﷺ فرددته يقولون: أنت كافر.

قال: فكيف أصنع ؟

قال: إذا ذكروا حديث النبي ﷺ قل: صدقت، ثم اضربه بعلّة، فقل: له علة. [«السُّنة» للخلال (١٧٣٤)].

- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصواعق المرسلة» (١/ ٢١٦): والجهمية .. سلكوا في تحريف النُّصوص الواردة في الصِّفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكَّنوا مِن تحريف نصوص القرآن حرَّفوا معانيه، وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكل مُلحدٍ يكيد الدِّين. اهـ

قلت: ومن نظر في أغلب التفاسير وشروحات الأحاديث المتأخرة وجد أصحابها قد سلكوا فيها مسلك المريسية في تعطيل صفات الله تعالى وتحريفها عن ظاهرها، بل والإنكار على من أثبتها وآمن بمقتضاها وأجراها على ظاهرها كما تقدم نقل كثير من أقوالهم في حواشي هذا الكتاب، والأغرب فيها حكايتهم الخلاف في تكفير من سلك مسلك أهل السُّنة في إثبات حقيقة الصفات.

فهذا القرطبي الأشعري أحمد بن عمر بن إبراهيم (٦٥٦هـ) المالكي صاحب «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» يقول (٦/ ٦٧٠): قوله : «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم**»، يعني: يتبعونه ويجمعونه طلبًا للتشكيك في القرآن، وإضلالًا للعوام، كما فعلته الزنادقة، والقرامطة الطاعنون في القرآن. أو طلبًا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسِّمة الذين جمعوا ما وقع في

الكتاب والسُّنة مما يوهم ظاهره الجسمية، حتى اعتقدوا: أن الباري تعالى جسم مجسم، وصورة مصورة ذات وجه، وعين، ويد، وجنب، ورجل، وإصبع، تعالى الله عن ذلك، فحذر النبي ﷺ عن سلوك طريقهم.

فأما القسم الأول: فلا شكَّ في كفرهم، وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة.

وأما القسم الثاني: فالصحيح القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عُبَّاد الأصنام والصور، ويستتابون، فإن تابوا وإلَّا قتلوا، كما يفعل بمن ارتد. اهـ

قلت: فهذا موقف هؤلاء المعطلة في من أثبت صفات الله تعالى وأمرَّها على ظاهرها، مع تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين.

وهذه مقارنة بين مذهب الجهمية ومذهب الأشاعرة في الصفات تزيل اللبس في تقرير هذه القضية.

قال أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ذم الكلام» (٤/ ١٣٧):

وأولئك [الجهمية] قالوا: لا صفة.

وهؤلاء [الأشاعرة] يقولون: (وجه) كما يقال: وجه النهار، ووجه الأمر، ووجه الحديث. و(عين): كعين المتاع. (وسمع): كأذن الجدار .. و(يد): كيد المنة والعطية. و(الأصابع): كقولهم: خراسان بين أصبعي الأمير. و(القدمان): كقولهم: جعلت الخصومة تحت قدمي، و(القبضة) كما قيل: فلان في قبضتي، أي أنا أملك أمره. و(الكرسي): العلم، (والعرش): الملك، و(الضَّحك): الرِّضا، و(الاستواء): الاستيلاء،

(والنزول): القبول، و(الهرولة): مثله، فشبَّهوا من وجه، وأنكروا من وجه، وخالفوا السلف، وتعدوا الظاهر، وردوا الأصل، ولم يثبتوا شيئًا، ولم يبقوا موجودًا، ولم يفرِّقوا بين التفسير والعبارة بالألسنة، فقالوا: لا نفسرها، نجريها عربية كما وردت.

وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة، أرادوا بهذه المَخْرَقة أن يكون عوام المسلمين أبعد غيابًا عنها، وأعيا ذهابًا منها، ليكونوا أوحش عند ذكرها وأشمس عن سماعها .. إلخ

وقد بيَّن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو الخبير بحالهم - في كلام له نفيس أن مذهب الأشاعرة في الصفات هو بعينه مذهب الجهمية، وأن التأويلات والتحريفات التي وقعوا فيها ونشروها في مصنفاتهم هي بعينها تأويلات الجهمية التي ذكرها الدارمي في رده على المريسي الجهمي الكافر.

فقال في «الفتوى الحموية الكبرى» (ص٢٥٤): وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس، مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر ابن فورك في كتاب «التأويلات»، وذكرها أبو عبدالله محمد بن عُمر الرازي، ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل: أبي علي الجُبائي، وعبدالجبار بن أحمد الهَمَذاني، وأبي الحُسين البصري، وأبي الوفاء ابن عقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء التأويل وإبطاله أيضًا، ولهم كلام حسنٌ في أشياء.

فإنما بيَّنت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي، ويدلُّ على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة

المشاهير في زمان البخاري، صنف كتابًا سماه: «رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته، ثم ردَّ ذلك عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذكي: علم حقيقة ما كان عليه السَّلف، وتبيّن له ظهور الحُجّة لطريقهم، وضعف حُجّة من خالفهم.

ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية، وأكثرهم كفَّروهم، أو ضللوهم، وعلم أن هذا القول السَّاري في هؤلاء المتأخّرين هو مذهب المريسية؛ تبيَّن له الهدى لمن يريد الله هدايته. اهـ

أما تكفير أهل السُّنة والأثر لمن سلك هذا المسلك، ووصمهم بالجهمية فهو كثير، ومن ذلك:

١ - قال عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرد على الجهمية» (٣٦٦) في أوجه تكفير الجهمية: وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]= و﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] .. قال هؤلاء: ليس لله يدٌ، وما خلق آدم بيديه، إنما يداه نعمتاه ورزقاه، فادَّعوا في يدي الله أوحش مما ادعته اليهود، قالت اليهود: يد الله مغلولة، وقالت الجهمية: يد الله مخلوقة؛ لأن النعم والأرزاق مخلوقة لا شكَّ فيها، وذاك محال في كلام العرب فضلًا أن يكون كفرًا؛ لأنه يستحيل أن يقال: خلق آدم بنعمته ..

ونُكفِّرهم أيضًا بالمشهور من كفرهم أنهم لا يثبتون لله تبارك وتعالى

وجهًا، ولا سمعًا، ولا بصرًا، ولا علمًا، ولا كلامًا، **ولا صفة إلَّا بتأويل ضلال**. افتضحوا، وتبينت عوراتهم، يقولون: سمعه، وبصره، وعلمه، وكلامه بمعنى واحد، وهو بنفسه في كل مكان .. وهذا أيضًا مذهب واضح في إكفارهم. اهـ

٢- قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في «التوحيد» (١/ ١٠٦): (باب إثبات السَّمع، والرُّؤية لله جلّ وعلا الذي هو كما وصفَ نفسه سَميعٌ بصيرٌ، ومَن كان معبوده غير سميعٍ بصير؛ فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي هو سميعٌ بصير.

٣- قال أبو العباس محمد بن إسحاق السَّراج (٣١٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يقر ويؤمن بأن الله تعالى: يعجب، ويضحك، وينزل كل ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا فيقول: «مَن **يسألني** فأُعطيه»؛ فهو زِنديقٌ، كافرٌ، يُستتاب، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابرِ المسلمين.

[«العلو» للذهبي (٤٩٢)]

٧- نفيهم لرؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة.

قال السِّجزي رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته «الحرف والصوت» (ص١٣٧): (بيان موافقتهم للمعتزلة في كثير من مسائل الأصول، وأنهم زائدون عليهم في القبح، وفساد القول في بعضها)، قال: وأما موافقتهم للمعتزلة؛ فإن المعتزلة قالت: لا تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار، وأنه ليس بمرئي.

وقال الأشعري: هو مرئي، ولا يُرى بالأبصار عن مقابلة.

فأظهر خلافهم وهو موافق لهم. اهـ

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٤٣٤): أئمة أصحاب الأشعري المتأخِّرين كأبي حامد وابن الخطيب وغيرهما لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة أو قريب منه وفسروها بزيادة العلم كما يُفسِّرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع .. إلخ

وقال أيضًا (٤/ ٤٠٠): .. لا يُعرف القول بإثبات الرؤية مع نفي كون الله تعالى فوق العالم إلَّا عن هذه الشرذمة، وهم بعض أتباع الأشعري ومن وافقهم .. ولهذا تجد هؤلاء الذين يثبتون الرؤية دون العلو عند تحقيق الأمر منافقين لأهل السُّنة والإثبات، يُفسِّرون الرؤية التي يثبتونها بنحو ما يُفسِّرها به المعتزلة وغيرهم من الجهمية، فهم ينصبون الخلاف فيها مع المعتزلة ونحوهم، ويتظاهرون بالرد عليهم وموافقتهم أهل السُّنة والجماعة في إثبات الرؤية، وعند التحقيق فهم موافقون للمعتزلة، إنما يثبتون من ذلك نحو ما أثبته المعتزلة من الزيادة في العلم، ونحو ذلك مما يقوله المعتزلة في الرؤية، أو يقول قريبًا منه، ولهذا يعترف الرازي بأن النزاع بينهم وبين المعتزلة في الرؤية قريب من اللفظي.

فعُلِمَ أن هؤلاء حقيقة باطنهم باطن المعتزلة الجهمية المعطِّلة، وإن كان ظاهرهم ظاهر أهل الإثبات، كما أن المعتزلة عند التحقيق حقيقة أمرهم أمر الملاحدة نُفاة الأسماء والصِّفات بالكُلية، وإن تظاهروا بالرد عليهم، والملاحدة حقيقة أمرهم حقيقة من يجحد الصَّانع بالكلية، هذا لعمري عند التحقيق.. إلخ

- وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرسائل

والمسائل النجدية» (٢/ ١٧٦-١٧٧): والأشعرية يوافقون أهل السُّنة في رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، ثم يقولون: إن معنى الرؤية: إنما هو زيادة علمٍ يخلقه الله في قلب الناظر ببصره، لا رؤية بالبصر حقيقة عيانًا. فهم بذلك نافون للرؤية التي دلّ عليها القرآن، وتواترت بها الأحاديث عن النبي ﷺ. اهـ

قلت: وقد كفر أئمة السُّنة والأثر من ينفي حقيقة رؤية المؤمنين لربهم ﷻ.

قال المروذي رحمه الله: قيل لأبي عبدالله [الإمام أحمد]: أتعرف عن يزيد بن هارون، عن أبي العطوف، عن أبي الزُّبير، عن جابر رضي الله عنه: إن استقرَّ مكانه فسوفَ تراني، وإن لم يستقرَّ فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة ؟

فغضب أبو عبدالله غضبًا شديدًا، حتى تبيَّن في وجهه، وكان قاعدًا والناس حوله، فأخذَ نعله وانتعل. وقال: أخزى الله هذا ! لا ينبغي أن يُكتبَ هذا، ودفعَ أن يكون يزيد بن هارون رواه، أو حدَّث به.

وقال: هذا جهميٌّ، هذا كافرٌ، أخزى الله هذا الخبيث، من قال: إن الله لا يُرى في الآخرة، فهو كافر. [«منتخب العلل» (١٧٣)]

وقال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٣٩٢): ثبت بالسُّنة المتواترة وباتفاق سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة أهل الإسلام الذين ائتموا بهم في دينهم أن الله سبحانه وتعالى يرى في الدار الآخرة بالأبصار عيانًا .. ومسألة الرؤية كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السُّنة المثبتة وبين الجهمية، حتى كان

علماء أهل الحديث والسنة يصنفون الكتب في الإثبات، ويقولون: كتاب «الرؤية والرد على الجهمية» وكذلك الأحاديث التي تنكرها الجهمية من أحاديث الرؤية وما يتبعها ويعدون من أنكر الرؤية مُعطلًا. اهـ

وانظر : تكفير السلف لمن أنكر الرؤية ووصمهم بالجهمية والزندقة في كتاب «السُّنة» لعبدالله بن أحمد باب (سُئل عما جَحدت الجهمية الضُّلال من رُؤية الرب تعالى يوم القيامة) (بتحقيقي).

قلت: فأي فرقة اجتمعت فيها هذه العقائد الكفرية فهي كافرة عند أئمة السلف والسنة أيًّا كان اسمها، وإلى أي مذهب انتسبت إليه، فالعبرة بالحقائق والعقائد التي تعتقدها وتدين الله بها لا بالأسماء، وإن الجدال في فرقة من الفرق في تبديعها أو تكفيرها على مجرد اسمها لا يُقدِّم ولا يؤخِّر شيئًا في تغير الأحكام والحقائق، ولا يخرج المتخاصمين بنتيجة مجدية مرضية، وخاصة أن كثيرًا من هذه الفرق المتأخِّرة قد اجتمع فيها كثير من المذاهب والأقوال البدعية والكفرية، فتجدها جهمية، قدرية، صوفية، أشعرية، مرجئة، خارجية وكل بلاء فيها.

وقضية تكفير بعض الفرق أو الأشخاص تذكرني بتلك الواقعة التي وقعت لأبي إسماعيل الهروي صاحب كتاب «ذم الكلام» لما حضر مجلس الوزير، فأراد خصومه أن يوقعوا بينه وبين الوزير، فسألوه عن جهره بلعن الأشعري وإنكاره عليه وعلى أتباعه.

قال ابن طاهر: سمعت أحمد بن أَمِيرجَه القلانسي - خادم الأنصاري - يقول: حضرت مع الشيخ للسَّلام على الوزير أبي علي

الطُّوسي، وكان أصحابه كلَّفـوه بـالخروج إليـه، وذلـك بعـد المحنـة، ورجوعِه من بَلْخَ، فلما دخل عليه أكرمه وبَجَّلَه، وكان في العسكرِ أئمةٌ من الفريقين في ذلك اليوم، وقد علموا أنه يحضر، فاتفقوا جميعًا على أن يسألوه عن مسألةٍ بين يدي الوزير، فإن أجاب بها يُجيب به بهَراةَ سـقط من عين الوزير، وإن لم يُجب سقط من عيونِ أصحابه وأهل مذهبه.

فلما دخل واسـتقرَّ بـه المجلسُ، انتـدب لـه رجـل مـن أصـحاب الشافعي، يُعرف بالعلوي الدَّبُّوسي، فقال: يـأذنُ الـشيخ الإمـام في أن أسأل مسألة ؟ فقال: سل.

فقال: لـم تَلعَنُ أبا الحسن الأشعري ؟! فسكت، وأطرق الوزير لِمَا عَلِمَ من جوابه، فلما كان بعد ساعةٍ، قال له الوزير: أجبه.

فقال: لا أعرف الأشعريّ ! وإنما ألعـنُ مـن لـم يعتقـد أن الله ﷻ في السماء، وأن القـرآن في المـصحف، وأن النبـيَّ ﷺ اليـوم نبـي. ثـم قـام وانصرف، فلم يمكن أحدٌ أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته.

فقال الوزير للسائل ومن معه: هذا أردتم ؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة، فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا، ما عسى أن أفعل به ؟

[«ذيل الطبقات» (١/ ١٢٤-١٢٥)]

قلت: وهكذا يقال ها هنا؛ فمن صرَّح بتكفير الأشـاعرة مـن أهـل السُّنة قالوا: نحن نُكفر كل من اجتمعت فيه هذه العقائد ودعا إليها أيًّا كان اسمه، وإلى أي فرقة انتمى، فالعبرة عندنا بعقائـدهم وأقـوالهم لا بأسمائهم.

فممن صرَّح بكفر الأشاعرة ولعنهم:

١ - أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٣٩١-٤٣٢) قال: (الطبقة الثامنة: وفيهم نجمت الأشاعرة). وذكرَ في هذه الطبقة مَن كفَّرهم مِن أهل العلم.

٢ - قال أحمد بن حمزة وأبو علي الحداد: وجدنا أبا العباس أحمد بن محمد النهاوندي على الإنكار على أهل الكلام، وتكفير الأشعرية.

[«ذم الكلام» (١٢٩٥)].

٣- قال أبو إسماعيل الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ذم الكلام» (١٣١٥): رأيت يحيى بن عمار (٤٢٢هـ) ما لا أحصي مِن مرَّة على منبره يكفرهم ويلعنهم، ويشهد على الأشعري بالزَّندقة، وكذلك رأيت عُمر بن إبراهيم ومشايخنا. اهـ

٤ - قال عُمر بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تحل ذبائح الأشعرية، لأنَّهم ليسوا بمسلمين، ولا أهل كتاب، ولا يُثبتون في الأرض كتاب الله.

«ذم الكلام» (١٣١٨).

٥ - قال يوسف بن عبدالهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جمع الجيوش والدساكر» (ص٢٠١): ومنهم: أبو المظفَّر الترمذي، حبال بن أحمد إمام أهل ترمذ، كان مجانبًا لهم، [يعني: الأشاعرة] يشهد عليهم بالزندقة.

٦ - الأهوزاي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «مثالب ابن أبي بشر» - يعني: الأشعري-، وقد أكثر من النقل منه ابن عبدالهادي في كتابه «جمع الجيوش والدساكر»، وكتابه الآخر «كشف الغطا عن محو الخطأ».

٧- قال ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حكاية المناظرة في القرآن» (ص٥٠)- وهو يتكلم عن الأشاعرة -: **وهذا حال هؤلاء لا محالة، فهم زنادقة بغير شكٍّ**؛ فإنه لاشكَّ في أنهم يظهرون تعظيم المصاحف إيهامًا أن فيها القرآن، ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلَّا الورق والمداد .. إلى أن قال: وحقيقة مذهبهم: أنه ليس في السَّماء إلهٌ، ولا في الأرض قرآن، ولا أن محمدًا رسول الله ..

٨- قال ابن الحنبلي في «الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة» (٢/ ٤٥١): وظهرت المعتزلة في زمن المأمون، وجرى منهم ما جرى، فكان آخر البدع ظهورًا مذهب الأشعري، وتولى نصرته الظلمة وأرباب الدنيا، وأصحاب المظالم القائمين بما يخالف الشَّرع من النّجامة، والفلسفة، والإدمان على المظالم والفسق، لتعلم أن هذه البدعة شرُّ البدع بظهورها آخر الزمان، وانتشارها في فاسد البلدان، وركوب دعاتها التمويه والمحال، والكلام المزخرف وفي باطنه الكفر والضلال، فزمان هذه البدعة أخبث الأزمنة، وأتباعها أخبث الأمة، ودعاتها أقل أديان هذه الملة. اهـ

٩- قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب كتاب «فتح المجيد» في «الدرر السنية» (٣/ ٢٠٨-٢١١): .. فالأئمة من أهل السُّنة وأتباعهم، لهم المصنفات المعروفة في الرَّدِّ على هذه الطائفة الكافرة المعاندة .. اهـ

وقد تقدم قريبًا نقل كلامه كاملًا.

قلت: فهؤلاء بعض من صرح بتكفيرهم من أهل العلم ممن وقفت

على أقوالهم وغيرهم كثير.

ومن أراد زيادة بيان في حال الأشاعرة والتحذير منهم ومجانبتهم فلينظر: «جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر» ليوسف بن عبدالهادي (٩٠٩هـ)، فقد جمع أسماء من تكلم فيهم في فصل مستقل، فقال: (فصل: ونحن نذكر جماعة ممن ورد عنهم مجانبة الأشاعرة، ومجانبة الأشعري، وأصحابه في زمنه وإلى اليوم على طريق الاختصار لا على باب التطويل في التراجم ..).

وذكر أكثر من (٤٠٠) عالم ممن كان مجانبًا للأشاعرة، ويصرح بهجرهم والتحذير منهم، ثم قال: (وقد رأينا من أصحابنا ورفقائنا، ومن اشتغل معنا أكثر من ألف واحدٍ على مجانبتهم ومصارمتهم والوقوع فيهم، وما تركنا ممن تقدم أكثر ممن ذكرنا، فهذا لعمرك الدساكر لا العسكر الملفَّق الذي قد لفَّقه ابن عساكر بالصدق والكذب الذين لا يبلغون خمسين نفسًا ممن قد كذب عليهم .. ووالله ثم والله، ثم والله لما تركنا أكثر ممن ذكرنا، ولو ذهبنا نستقصي ونتتبع كل من جانبهم من يومهم وإلى الآن لزدنا على عشرة آلاف نفس. اهـ

وأختم هذه الحاشية بذكر أبيات منتقاة من نونية القحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ في فضحه وهجوه للأشاعرة وبيان حقيقة مذهبهم في نونيته الشهيرة في أبواب السُّنة والأحكام والآداب وغيرها، فيقول:

والآن أهجُو الأشعريَّ وحِزبَه   وأُذِيعُ ما كتموا مِن البُهتان
يا معشرَ المتكلِّمينَ عدوتُمُ   عُدوانَ أهلِ السَّبتِ في الحِيتان

أزعمتُمُ أن القرانَ عِبارةٌ   فهُما كما تحكُون قُرآنان
إيمانُ جبريلٍ وإيمانُ الذي   رَكِب المعاصي عِندكُم سِيَّان
هذا الجُويهرُ و العُريضُ بزعمِكم   أهما لمعرفةِ الهُدى أصلان ؟
من عاشَ في الدنيا ولم يعرفهُما   وأقرَّ بالإسلامِ والفُرقان
أفمُسلمٌ هو عندكم أم كافرٌ   أم عاقِلٌ أم جاهِلٌ أم واني
عطَّلتُمُ السَّبعَ السَّموات العُلا   والعرشَ أخليتُم مِن الرَّحمن
وزعمتم أنَّ البلاغَ لأحمد   في آيةٍ من جُملة القرآن
هذي الشقاشِقُ والمخارِفُ والهوى   والمذهبُ المستحدثُ الشَّيطاني
سميتُم علمَ الأُصولِ ضَلالةً   كاسمِ النَّبيذِ لخمرةِ الأدنان
ونعَت محارِمُكُم على أمثالِكُم   واللهُ عنها صانَني وحَماني
إني اعتصمتُ بحبلِ شرعِ محمدٍ   وعضضتُه بنواجِذِ الأسنان
أشعرتُمُ يا أشعريَّةُ أنني   طُوفان بحرٍ أيُّما طُوفان
أنا همُّكُم أنا غمُّكُم أنا سُقمُكُم   أنا سُمُّكُم في السِّرِّ والإعلان
أذهبتُمُ نورَ القران وحُسنَهُ   من كُلِّ قَلبِ والِهٍ لهفانِ
فوحقِّ جَبَّارٍ على العرشِ استَوى   مِن غيرِ تَمثيلٍ كقولِ الجاني
ووحقِّ من ختَمَ الرِّسالةَ والهُدى   بمحمدٍ فزَهَا به الحرَمَان
لأقطعنَّ بِمعولي أعراضَكُم   ما دام يَصحبُ مُهجتي جُثماني